السيطرة الكاملة على النفط تسارع بشكل واضح جدا مما يسمح بالامل ان تتم هذه السيطرة في أعمق معانيها ومدلولاتها في وقت قريب جدا ، في حين ان تحرير فلسطين يتطلب مدى زمنيا أطول ونضالا أشد عنفا ومرارة .

* * *

يجدر بنا عند هذه النقطة ان نتمعن بالمزيد من التدقيق والتعمق في طبيعة وحدود العلاقه بين النفط العربي وقضية فلسطين من زاويتين اثنتين تربطهما معـــه أرض مشتركة هي أرض التنميه العربية في أوسع معانيها : الزاوية الاولى هي النفط وتحدي التنمية والثانيه هي تحدي تحرير فلسطين والتنمية . ولئن كانت الزاويه الاولى واضحة المعالم فان الثانيه بحاجه الى شيء من الإبراز ، وعلى أي حال فانني سأكرس ما تبقى من هذا البحث لدراسة كل من زاويتي النظر ولدراسة ارتباطهما وكيفية تفاعلهما .

غير ان من الضروري التشديد على وجهين من أوجـــه دور النفط في خدمة قضية فلسطين بالرغم من انهما بديهيان ولا يحتاجان الى المزيد من البحث ، ولا يقعان ضمن اطار الحديث عن التنمية بشكل مباشر . ما أقصده هنا هو أولا تمكن البلدان النفطية بفضل الموارد المالية الناجمة عن نشاط قطاع النفط من تمويل جميع حاجاتها الدفاعية ، ونصيب يذكر من حاجات الدفاع والصمود في بلدان المواجهة المباشرة . ولقد أظهرت حرب اكتوبر ١٩٧٣ اتساع نطاق المشاركة العربية في النضال المسلح ضد اسرائيل ، كما أظهرت ضرورة صياغة استراتيجية الدفاع والتسلح على نطـــاق الوطن العربي بشكل تتحقق معه الفائدة القصوى من الانفاق العسكري . أما الوجـــه الثاني فهو استخدام النفط كجهاز ضغط سياسي على البلدان المعائلة لاسرائيل ، أو كرادع لها من الاستمرار بمواقفها المعادية للعرب. ويتخذ هذا الاستخدام شكل حجب النفط ، وضغط الانتاج ، وسحب الارصدة المالية النفطية من اسواق البلدان المعادية ، كما قد يتخذ أشكالا أخرى .

النفط وتحدي التنمية :

التنمية التي هي محور الاهتمام في هذا القسم من البحث ليست مجرد تزايد في الدخل الفردي من ضمن « الدورة الاقتصادية العادية » ، فهذا المفهوم يشكل مقاربة بريئة ومغرقة بالتبسيط . بل انني لا أقصر مفهوم التنمية على كونها عملية تصنيع ، مع ان هذا المفهوم يشكل مقاربة أكثر صقلا . ذلك ان التصنيع في ذاته مع ما يعنيه من ادخال التكنولوجيا الحديثة الى النطاق الانتاجي والتنظيمـــي والتوزيعـــي أي ولوج « عصر الحضارة الصناعية » بحدودها الاقتصادية والمؤسسية، يظل خلوا من المحتوى الاجتماعي والسياسي الصريح .

ان مفهوم التنمية الذي أرمي اليه يتناول التنمية كعملية ثورية تحررية متكاملة ذات محتوى سياسي مؤسسي اجتماعي ، وثقافي علمي الى جانب المحتوى الاقتصادي . فهي تعني تزايد الدخل الفردي واستمرار ارتفاعه ، وتحقيق النمو بفضل جهد المجتمع الذاتي المتواصل ، كما تعني كذلك ولوج عصر الحضارة الصناعية ، ولكنها تمتد الى ما هو أبعد من ذلك . وبالتحديد فالتنمية ضمن المفهوم المتكامل لا يمكن ان تتم دون حدوث تبدلات سياسية واجتماعية جوهرية تسمح باستيفاء الشروط الاقتصاديـــة المتصلة بالنمو السريع والمستمر . من هنا يتضح أن التنمية المتكاملة تطلـــق تحديات ضخمة للمجتمعات والمؤسسات والافراد تتخطى في هويتها وفي أثرها التحديات الاقتصادية مهما كان شأن هذه وحجمها .

من البديهي ان يتقرر دور النفط في عملية التنمية المتكاملة من ضمن اطار مفهومها